ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Rese. Hadyah Kazim Thajil

Dr. Fadel Kazem Hanoun

University of Wasit - College of Education for Human Sciences

Email:
dha72833@gmail.com
Fhannoon@uowasit.edu.iq

Keywords:

Violence, Gods, Conflict, Texts, Mesopotamia

CC BY

Article info

Article history:

Received 2. Jan 2025

Accepted 4. Feb.2025

Published 25. Aug.2026

Violence in Religious Thought in Ancient Iraq

A B S T R A C T

The importance of studying religious beliefs stems from the importance of religion itself, which served as the foundation of Mesopotamian civilization and the spirit of its society; Iraqi civilization was born and died under the auspices of the gods and the temple, and this civilization cannot be understood without understanding the beliefs of its people—particularly their conception of their gods and what they valued in their lives—because everything in the universe, whether small or great, exists only by the will of the gods.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol64.Iss2.4221

العنف في الفكر الديني بالعراق القديم

الباحثة: هديه كاظم ثجيل أ. د فاضل كاظم حنون

جامعة واسط ـ كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:

تنطلق أهمية دراسة المعتقدات الدينية من أهمية الدين نفسه، الذي شكل وعاء لحضارة بلاد الرافدين وروح مجتمعها فالحضارة العراقية ولدت وماتت في كنف الآلهة والمعبد، ولا يمكن فهم الحضارة الا بفهم معتقدات سكانها لاسيما في ما تصوره لآلهتهم وما تقدره في حياتهم، لأن ما في الكون سواء صغيرة أو كبيرة لا يكون إلّا بإرادة الآلهة.

الكلمات المفتاحية: العنف ، الآلهة ، الصراع ، النصوص ، بلاد الرافدين.

المقدمة

كان الدين من أهم مقومات حضارة بلاد الرافدين إذ شكل جانب روحياً من تفكير الإنسان على مر العصور فالأفكار والمعتقدات غالباً ما تؤثر على الإنسان.

وتميزت الآلهة بخاصية هي تشبيه الالهة بالبشر في صفاتهم، وإن الدين يمثل جانباً مهما في حياتهم السياسية والادبية والمحرك الاول لحياة الإنسان، فلذلك يشعر على الدوام بأنه يعتمد كلياً على إرادة الآلهة، وعندما يصابون بأذى يعتقدون أنَّ الآلهة غضبت عليهم نتيجة لارتكابهم خطيئة.

أهمية البحث

تكمن اهمية البحث من خلال تسليط الضوء على العنف الديني الذي يكون بين الآلهة والآلهة الأخرى أو تسليطها العقوبة على البشر.

أسباب اختيار البحث:

لأجل دراسة المعتقدات الدينية ومعرفة معتقدات العراقيين القدماء أتجاه ألهتهم لان العقيدة الدينية تتصف بالشمولية، وكيف تؤثر على فكر الانسان في بلاد الرافدين.

منهجية البحث

استعمل المنهج السردي التاريخي في البحث، وإن الدراسة تحتاج سرد النصوص لإثبات حقيقية معينة والاحداث التاريخية، والمنهج التحليلي لعرض الجوانب الاساسية في المعتقدات الدينية ومن ثم تحليل بعض النصوص.

تقسيم البحث

قسم على أربع محاور، تناول المحور الأول "العنف الديني" ، أمّا المحور الثاني فقد تضمن "عنف الالهة ضد الالهة" وجاء المحور الثالث بعنوان " عنف الآلهة ضد البشر" وجاء المحور الرابع بعنوان:" اساليب العنف المتعددة.

العنف الديني:

كان للمعتقدات والطقوس الدينية حيزاً مهما في حياة الإنسان، وقد تركت آثارها الواضحة، لذا فإنَّ الجانب الديني من أبرز العوامل المؤثرة في حضارة الامم إذ يساهم في تحديد الجوانب العامة مثل العادات والتقاليد والقوانين ،(باقر، وآخرون، ص ١٨٠) وان الدين منذ بداية نشأته حتى تطوره عبر العصور، وكذلك أديان الشعوب تطورت لأجيال متعاقبة لمختلف العصور(الهاشمي، ١٩٩٣، ص٥٦)، إذ كانت حياة الانسان البدائية معرضة للمخاطر والكوارث الطبيعية، وقد يعتقد إن هناك قوى تسبب له هذه الامور لذلك لجأ الى استعطاف الالهة ومحاولة كسب رضاها ولدفع الاذى وشكرها على نعمها واسهمت هذه الامور في نشوء العقيدة الدينية(شحيلات، والحمداني،٢٠١٢، ص١١٤)، وهذه المعتقدات قديمة منذ وجود الانسان القديم في الارض(باقر، ١٩٩٦، ص١)، وان العنف والفيضانات وتوقع المفاجئات ترك اثر في بيئة وادي الرافدين (باقر،ج٢، ٢٠٠٩، ص ٤٨) وادرك الانسان بالخطر وضعفه أمام وسط هذه القوة المساوية وشعر بالخوف منها (فرانكفورت،١٩٦٠، ص١٤٧ –١٤٨) .

وكان للآلهة دور كبير في حياة العراقي القديم فكان يستشيرها برأيها في شؤون حياتهم اليومية (احمد،١٩٩٨، ص٢٠٦)، أول المعبودات هي التي مثلت الارض وخصوبتها، وقد أطلق عليها تسمية الآلهة الأم الذي عبدوه وتصوروه ذو صلة بالأرض المنتجة، ووجدوا تماثيلها في مواقع العراق القديم مثل قرية جرمو وحسونة وتل الصوان (الدباغ،١٩٨٥،

ص١٢١)، فقد اعتقد السكان أنَّ الآلهة الأُم تمثل المرأة والارض وان زيادة الانتاج يحصل من تلقيحها مع الظواهر الطبيعية، فلذا تشبه تكاثر الإنسان من حيث تلقيح المرأة من الرجل (سلمان،٢٠٠١، ص٢٩).

وحياة الآلهة تشبه حياة البشر إلّا أنها انفردت عن البشر في صفة الخلود والقوة الخارقة (الطائي،٢٠٠١، ص٣٤)، بحيث أطلق عليها بـ(التشبيه) (الموحي،٢٠١٢، ص٢)، ومن مظاهر النضج في الفكر الديني عند بلوغها مبدأ الاستمرارية خلال العصور التاريخية في الالف الثالث قبل الميلاد، أمّا المعبودات التي عبدها سكان بلاد الرافدين نفسها التي قدسوها في الادوار القديمة (سليم،٢٠١١، ص٣٢٢)

أما حالات العنف التي مرت بها الآلهة فقد تمثّلت بـ :

أولاــ عنف الآلهة ضد الآلهة

كان اعتقاد السّكان ان صفة الخلود التي تميزت فيها الالهة جعلت الموت نصيب قدر على البشر منذ بداية خلقهم (نائل حنون،١٩٦٠، ص٤٣) وجاء في نص لملحمة (كلكامش):

"خلقت عندما الالهة البشر

الموت قدرت على البشرية

واستثرت هي بالحياة" (باقر، ص٧٩)

ونستشف من النص ان بعض الالهة لم تنج من الموت بسبب العقوبة التي ارتكبتها وبعضها تعرض الى الموت المؤقت واخرى نفيت الى العالم الاسفل وبعضها قتلت.

تكشف لنا اسطورة الخليقة البابلية حينما في العلى "اينما ايلش enuma elish"عن عقوبة الموت لثلاثة من الالهة من قبل الالهة الفتية وتعرضت الالهة(ابسو)(خوري، ١٩٩٠، ص١٦) الى العقوبة نتيجة الافعال الجرمية (حنون، ص٤٥) وكان الاله ابسو هو رأس الآلهة العتيقة وتم قتله على يد أحد احفاده المدعو (ايا) وقد اسره وزيره لذا فقد قتل ابنائه من قبل الآلهة الفتية(Oshima,2007,p.352):

"أيا العالم بكل شيء، وجد مخططا لصالحهم، فكر ووضع ضد ابسو
مخططا كاملا، بمهاره، جعل تعويذته الصافية قديرة ضده، تلاها له
ابسو الذي اعتزاه النوم، في حين ان ممو مستشارة كان قد تخدر
بالارق ، فعراه ايا ونزع تاجة ، ورفع عنه جلالة الالهي وتوشح هو
به، وقيد ابسو وقتلة"(لابات،١٩٨٨، ص٣٦)

أمَّا حالة العنف الثانية التي حاولت(تيامه) أخذ الثأر لمقتل زوجها(ابسو) وقام (مردوخ) بطل الاسطورة من مقتلها (الدباغ، ١٩٩٢، ص٢٧)

"نشر السيد شبكته وطوقها، اطلق بوجهها الرياح المدمرة الكامنة في
الموضع الخلفي، (فلما) فتحت تيامة فاهها لتبتعله ، ادخل الرياح
المدمرة في شفتيها المكشوفتين ، نفخت الرياح الهائجة كرشها
نشفت احشائها (و) وسعت فاها ، اطلق سهمها شق بطنها ،مزق
اعماقها اخترق القلب، قمعها وقطع انفاسها، طرح جثتها (و) ووقف عليها"(حنون،٢٠٠٦، ص١٣٨_١٣٩)

أمّا حالة العنف الثالثة التي جاءت في الاسطورة هو الإلة (كنكو)الذي تزعم جيش (تيامة) فقد اتخذته زوجا وقتل على يد الالة(مردوخ) (كريمر،١٩٨٤، ص٩٩).

ثانيا: عنف تمريض الالهة للآلهة

ان الالهة شبيهة بالبشر الصفات وإنها تصاب بالأمراض مثلما يصاب الناس حين ارتكابهم المعاصي وهناك نصوص ثبتت تعرض الالهة الى عقوبة المرض التي حدثت في دلمون (نتيجة فعل خطيئة ما ومنها واسطورة (انكي وننخرساك) (عبد الواحد، ص٩٥).

وتروي الاسطورة تعرض الاله (انكي)للمرض نتيجة للخطيئة التي ارتكبها وهي اكله نباتات الآله (ننخرساك)الثمانية، لذلك غضبت(ننخرساك) وقررت ان تعاقبه وكانت العقوبة يبدو أن المرض في جسمه ويكون في ثماني مواضع في جسده وكل مرض له نبات يشفيه في حين المرض اراد ان ينهي حياته الا ان تدخل الثعلب بين الالهة (ننخرساك) و(انكي) لكي يكون واسطة بينهما وشرعت بشفاء اعضائه المعلولة وولادة الآلهات الثمانية لكي يشفى من مرضة (كريمر، ص٨٥_١٩٩).

"اجلست (ننخرساك) (انكي) في حضنها (عند عورتها) ، ما يؤلمك

يا أخي (؟)، ان ال.... هو الذي يؤلمني، لقد عملت على ولادة الإله

(ابو) من اجلك، يا أخي ما علتك التي تؤلمك (؟) ، ان فكي هو الذي

يؤلمني، لقد ولدت من اجلك الاله (نن ـ تلا)، يا أخي ما يوجعك (؟)

ان سني هي التي توجعني، لقد اولدت من اجلك الالهه (نن سوتو)،ياخي مايؤلمك(؟)، ان فمي هو الذي يؤلمني، لقد اولدت من اجلك الآلهة (نن كاسي)"(كريمر، ص٢٦١_٢٦٢) وشفي(انكي)من المرض نتيجة اكلة النبات الثمانية من ولادة (ننخرساك)الذي تولوا علاجه (كريمر، ص١٠٠)

ثالثا ــ عنف الآلهة ضد البشر

وإن العراقيين القدماء من خلال النصوص التي جاءت وصلتنا منها السومرية والبابلية كانوا قريبين على الآلهة وعبروا عن هذه العلاقة من خلال النذور التي يقدموها الى الاله(امين،٢٠٠٥،ص١٠٥) وان الغرض من خلق الانسان لعبادة الالهة وتقديم الخدمات اليها كالطعام والشراب ،بحيث ان الالهة بحاجة الى البشر من خلالها تحصل الالهة على القرابين وان الالهة لا تستطيع ان تستغني عن البشر(كونتينو،١٩٧٩، ص٢٧٤) ومن خلال الاساطير ان الانسان خلق لخدمة الالهة (عدنان، ٢٠٠٧، ص٢٥١، ٢٥٢) الا أنَّ الإنسان قام بأمور أغضبت الآلهة وأزعجتها وأنزلت بها عقوبات أدت إلى انهاء وجود الانسان من الارض(زودن،١٩٧٩،ص١٨٢) وسبب العقوبات النقص في تقديم الخدمات الى الالهة(ديلا بورت، ١٩٩٧، ص٣٢١).

وحين تسلط العقاب فقد يكون جماعياً تصاب البشرية كلها أو فرادى يُصاب شخصاً ما . وجاء في قصص الطوفان ومراثي المدن وهي:

أ: الطوفان

وتعرض البشر الى عقوبة الطوفان فاعتقدوا سومري الأصل إلَّا انَّ المدونين البابليين والاشوريين أضافوا آفاقاً جديدة لكي تنقل إلى الأجيال .(عبد الواحد، ١٩٧٢،ص٧)وجاء عن الطوفان في الكلمتين(A. M.A.URU.S) او البابلية (abubu) وتصوره على هيئة ارتفاع طغيان الماء ووقع في عصر معين ولم يكن وقعة في بلاد الرافدين فقط بل شمل العالم القديم كله(عبد الواحد، الطوفان في المراجع المسمارية فلذلك اصبح الطوفان بالنسبة للانسان شبح مخيف على مر العصور(عبد الواحد،ص٧)، وذكر في العديد من الالواح اما اهم المصادر المسمارية التي ذكرت الطوفان وهي :

١ـ قائمة الملوك السومرية (The Sumerian King List).

٢ـ قصة الطوفان السومرية (زيوسدرا Ziusudra).

٣ ـ قصة الطوفان البابلية (تراخاسيسAtrahasis).

٤ـ قصة الطوفان في ملحمة كلكامش (اوتنابشتم Utnapishtim)(عبد الواحد ،ص١٥٠ـ١٥١).

إنَّ القصص التي تحدثت عن الطوفان اتفقت على العناصر محددة وهي:

١ـ إغراق الأرض ومن عليها باستثناء زيورسدرا وعائلته.

٢ـ صنع سفينة ونجا من الغرق وجمع أصنافاً من الحيوانات والطيور والحبوب حتى تعود الحياة إلى الأرض بعد انتهاء الطوفان.

٣ـ ومن أهم الطرق التي استعملها لاستكشاف انتهاء الطوفان أطلق طير وجيء بقطعة من الأرض اليابسة دليل لانتهاء الطوفان (سولبركر،٢٠٠٠، ص٩).

لذا نجد قصة الطوفان البابلية (اتراخاسيس)التي تحدثت عن العقوبات حين تعرضت لها البشرية ومهدت الآلهة لإحداث الطوفان بهدف الانتقام من البشر (عبد الواحد،١٩٨٩، ص ٢٠٨) وحين خلق الانسان وثورة الآلهة (الايجيجي)، ونجد في قصة الطوفان البابلية حين زاد عدد السكان:

"لم تمض بعد ألف ومائتا سنه

حتى توسعت البلاد وتكاثر الناس

واصبحت البلاد تخور مثل النور

فانزعج الاله (انليل) من ضجيجهم

اجل لقد سمع انليل صخبهم

فقال مخاطبا الآلهة العظام:

لقد أصبح صخب البشر شديدا علي

وقد حرمني ضجيجهم من النوم

فلنأمر بالوباء ينتشر بين الناس"(عبد الواحد، ص٥٦)

واستعمل الإله (انليل) العنف ضدهم وهي انزال "الاوبئة والامراض" لتقليل اعدادهم والحد من الازعاج الذي سببوه (باقر، ص٢٢١) وحين فتكت الامراض بالناس ارتفعت اصواتهم واستغيثوا بالآلهة (أيا) لكي يفشل مخطط الإله (انليل) (عبد الواحد، ص١٢) .

وعاد ازعاج البشر وضجيجهم على الارض مرة أخرى حين زادت أعدادهم فغضب الإله (انليل) وجمع الآلهة ليخبرهم عن تزايد أعداد الناس ولم يعرف الراحة فقد استعمل خياره الثاني وهو" إحلال المجاعة والجفاف" وذهبوا الى الإله (ايا) لكي يساعدهم وحين عرف(انليل) أفشل مخططة لكنة عاد المجاعة عليهم واستمرت ست سنوات ونقتبس منها:

"عندما حلت السنة الخامسة

أصبحت الاوبئة تراقب الام وهي تدخل (البيت)

غير أنّ الأُم ما كانت لتفتح بابها الى ابنتها

وكانت الام تراقب ميزان الابنة (عند بيعها) (عبد الواحد، ص٦٣)

وعندما حلت السنة السادسة

اتخذوا من الابنة عشاء لهم

واتخذوا من الابن غداء لهم

فالتهم كل جار جاره

وغطت وجوههم غشاوة كالنبت المصفر

وكان الناس أحياء ولكن على حافه الموت"(عبد الواحد، ص٦٢-٦٣)

إلّا إن الاله (ايا) استجاب إليهم وخفف عنهم من الجفاف والمجاعة (باقر، ص٢٢٢) واستعمل(انليل)أخطر أسلحته وهي الطوفان للانتقام من الناس لكي يخلص من الجنس البشري (عبد الواحد، ص١٢).

إما في "ملحمة كلكامش" فتتمثل بالأسباب في انتشار الارض بالفساد والشر والعنف (قاشا،١٩٩٨، ص١٨٤)، وجاء في اللوح الحادي عشر من" ملحمة كلكامش" حين خاطب الإله (أيا) الإله (انليل) قائلا:

"صاحب الخطيئة حمله خطيئته

صاحب الاثم حملت اثمه

أرخ الخيط فلا ينقطع، شد الخيط فلا يرتخي (حنون،٢٠٠٦، ص٢٢٣)

أما قصة الطوفان السومرية لم تنشر لأي سبب من الاسباب التي دعت الاله الى إحداث الطوفان (ريان،٢٠٠٥،٣٢٩)، وأتفقت المصادر على ان الطوفان جاء بأمر الآلهة، أما عن كيفية ايصال إلى(زيوسدرا) أنه رآى حلم وذهب الى الإله لكنه سمع صوت يأمره يقف خلف الحائط لكي يسمع الرسالة من الإله(ايا) الذي أنبأه عن الحلم و(اوتنابشتم) حين رأى حلم يخاطب الإله (أيا) من وراء جدار الكوخ لكي يكشف عن سر الآلهة (السواح ،١٩٨٨، ص١٨٧) .

ب ــ تدمير المدن

كان لموقع العراق أثر كبير لأنّه يقع بين منطقتين فتحده المناطق الجبلية من الشمال والشمال الشرقي والمناطق الصحراوية من الغرب والجنوب الغربي (باقر،٢٠٠٩، ص٣٥ـ٣٦) .

فلذلك كان محط أنظار الأقوام الأخرى وتعرضها إلى عمليات القتل وتدمير تماثيل الآلهة، وإنَّ تلك الأسباب عقاب إلهي نتجت عن الخطيئة التي تعرض لها البشرية من غزوات وكوارث التي اغضبت الالهة بسبب الاعمال التي اقترفها الناس (شمار،١٩٨١، ص٦٥)

وعند تخلي الالهة عن اهلها يصبحوا مهجورين ويتعرضون لكلِّ انواع الكوارث من الأعداء وتسلبيهم وقتل سكانها، ويكون نتيجة الاعمال التي يرتكبها السكان التي تودي الى اغضاب الالهة ،وحين استرضاء الالهة عليهم سيدفع البلاء منهم(الاسوؤد،٢٠٠٢ ،ص١٥)وحلت الكوارث في البلاد على مر العصور المختلفة حين ارتكاب المعاصي(عبد الواحد، ص٣١٩)، اما اهم الكوارث التي تعرضت اليها تدمير مدينة أكد حين هجوم الكوتيون وادعوا أنَّ سقوط مدينة أكد ان كهنة المعبد ادعو الههم الاله (انليل) الذي نال غضبه من هذه المدينة بسبب التصرف الذي قام به الملك (نرام سين)حيث قام بتدمير معبد الاله نفر فقد حلت لعنة لمدينة أكد واجتاحها الاقوام الكويتية(الامير، ٢٠١٤،ص٢١٤).

اول المرثيات التي بدأت بقصة الملك سرجون الأكدى وكيف حصل على الملكية التي اعطتها الالة(انليل)،وتم القضاء على سلالتي الوركاء وكيش واقامت الاله(انانا) بيتها المقدس" أي ــ اولماش E.Ulmash في مدينة أكد واعطت للمدينة مكانة مهمة بين

الدول واصبحت وافرة بالخيرات وحوت كنوزها الاقطار وغرائب انتاجها(باقر،ص٢٧٠)، وفي زمن الملك نرام سين حفيد سرجون وقعت كارثة وتغير كل شيء وحلت اللعنة واصابها الضعف وتخلت عنها الالة(انانا):

"بعد ان تخلت الالهة انانا عن المدينة وهجرتها

وكما تهمل غرفتها اهملت الالهة انانا معبدها في أكد

وكمقاتل يلوح بسلاحه هاجمت المدينة بغضب فائر

وارغمتها على تقديم صدرها للعدو"(شمار، ص٦٦)

وحين أقدم الملك نرام سين حاكم أكد على نهب مدينة نفر وتدنيس معبد الاله (انليل) الذي يعرف بـ(معبد ايكور) (كريمر،٨٢) وحين نهب المعبد وتحميلها في السفن الامر الذي اغضب الاله(انليل) وعمل على معاقبته باستعمال الكوتيون (اوتس، ص٦٣) وجاء النص للمرثية:

"قوم لايخضعون , وبلاد لا يحصى اهلها

بلاد الجوتيين , بلاد لا تكبح جماحها

هؤلاء جاء بهم انليل من الجبال

فغطو الارض بأعداد ضخمه كالجراد

وكأنّها مصيدة للبهائم

ولم يهرب من يديهم شيء

فلا رسول على الطريق

ولا ملاح في قاربه في النهر

لقد وضعوا الرقباء على قمم الاشجار عند ضفاف الانهار

ووضعوا اللصوص على الطرقات

ومداخل المدينة اصبحت ابوابها تحت التراب

وأطلقت البلاد صرخة حزن من داخل اسوارها"(عبد الواحد، ص٣٢٢ـ٣٢٣)

وعند انتشار الخراب والمجاعة والموت قرر ثمانية من كبار الاله المجمع السومري لكي يهدوا (انليل) وتوجهت بالدعاء الى تدمير مدينة أكد ويحلوا فيها لعنة طويلة (شمار، ص٦٧) وهذا ما نطقت به الالهة:

"لتتناثر بساتينك كالغبار، ليعد اجرك الى اعماق الارض ليتحول

قصرك الذي شيد بقالب مفعم بالفرح الى خراب كئيب لينطلق الثعلب

الذي يجوب التلال في المكان الذي جرت فيه شعائرك وطقوسك،

ليعجز كل انسان عن المشي، بسبب الثعابين والعقارب"(اوتس،٦٤)

وتحققت اللعنة وعم الدمار والخراب مدينة أكد ويختم الشاعر مرثيته:

"ان هذا ما حدث فعلا، بقيت أكد بعد ذلك مقفرة غير مسكونة"(باقر، ص٦٤)

جـ ـ الموت

تصور العراقي القديم ان الموت هو النهاية للإنسان حين قدرته الالهة منذ ان تولت خلقهم وجاء في خطاب (اوتنابشتم) لـ(لكلكامش) عند ما قص خبر الطوفان:

"ان (الانوناكي)، الالهة العظام تجتمع مسبقا

ومعهم(مامتم)، صانعة الاقدار تقدر معهم المصائر

قسموا الحياة والموت

ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه"(باقر، ص٧٨)

واتصفت بالخلود والسرمدية وحرمت الانسان منها، وكانت تخشى من تعاظم سلطة الانسان (كريمر، ص ٢٣٥) سوف يتمرد عليها (لكريمر، ص٢٣٣) ومن القصص التي كانت دليل شاهد على عدم منح الخلود للإنسان قصة (أدابا) حين قدم الة السماء(انو)الية ماء الحياة وخبز الحياة لخداع الالة(ايا) (لابات، ص١٩)

الا انه رفض تناوله وضيع الفرصة التي لا تعوض على نفسه وعلى البشرية (عبد الواحد، ص٢٤٠) اعتقدوا سكان العراق القديم بحتمية الموت (محمد، ١٩٩١، ص٤٣) من العقوبات التي تكون على البشر حيث جاء في نص (اوتنابشتم) لـ (جلجامش) :

"ان الموت قاس لايرحم

متى بنينا بيتا يقوم الى الابد"(حنون، ص٨٠)

ونظروا سكان بلاد الرافدين نظرة وخوف، واعتقدوا ان الموت المبكر الى الانسان بمثابة عقاب إلهي وقد ورد في بعض الاشارات ان بعض الناس ماتوا ولم يكون وقتهم (حنون، ص٨١ـ٨٢)، الى موت الشباب المبكر وقبل تذوق مباهج الحياة (الشواف، ج٤، ص٢٧)، إن موت(انكيدو) رفيق(كلكامش) في عنفوان شبابه نتيجة لعقوبة وذلك لإقدام (كلكامش)على قتل ثور(انانا) السماوي وايضا قتل حارس غابات الارز المقدمة (هواو/ خمبابا) (شمار، ص٢٦) .

إما كلكامش فان عقوبته اجلت لبعض الوقت لكنة لم ينجو من عقاب الإلهان عقاب كلكامش كان انتقام الهي فعوقبَ بسرقة الأفعى لنبتة الحياة(شمار، ص ٣٦٧) فقد شكل(جلجامش) ورفيقه (انكيدو) قوة عظيمة هائلة وادت قوتهم الى قذف الالهة(عشتار) بفخذ الثور السماوي واصبحت هذه القوة تهدد سلطة الالهة وبان يكون احدهما يتعرض للعقوبة (حسين،٢٠٠٦،ص٩٧) اما عن اختيار(انكيدو) لكبش الفداء فأدت الى وجود اسباب ومنها قتل(هواو/ خمبابا)، وقتل الثور السماوي، وكان الهدف من خلق(انكيدو) تمثل في تهور(كلكامش) وتسلط على مواطني مدينة الوركاء ونفذت هذه المهمة ولم يعد بحاجة الى(انكيدو) وتلقى عقوبة الموت، إنَّ الإله (انليل) هو المسؤول الاول وبعدة يأتي الملك(كلكامش) النائب عنها(حسين،ص١٠٦ـ١٠٧) وجاءت عقوبة (انكيدو) من قبل الالهة نتيجة عدم التزامه قوانين العالم الاسفل الذي نصحه صديقة بها الا انه تجاوز هذه القوانين وتمكن من صرخة العالم الاسفل وعدم الافلات منها وحاول(كلكامش) التوسط عند الالهة حتى يتمكن من بقاءه على قيد الحياة الا ان مساعيه باءت بالفشل لان من يدخل الى العالم الأسفل لا يرجع منه (عبد الواحد ، ص١٦٣) .

٣ـ أساليب العنف المتعددة

تعرض بعض الحكام لعقوبات ومن خلال النصوص نستشف الحاكم (لوكال زاكيزي) تعرض الى عقوبة على يد الملك سرجون الأكدي عندما انتقلت السلطة الى الاكديين، وفي عهد(اوروانمكينا)، قام بحرق ونهب مدينة لجش مما ادى الى غضب الاله(ننجرسو) (باقر، ص٧٧) : وجاء في النص

"لقد أشعل رجل (اوما) النار في (ايكيسورا) وأشعل النار في

(انتاسور) ونهب معدنه الثمين، وحجره اللازوردي الثمين. لقد

استولى على قصر(تيراش) ووضع يده على الـ (ابزوبندا) لقد

استولى على مزار(اوريما) عرش (انليل) ، وعلى مزار(اوريما)عرش (اوتو)..." (كريمر،٣٦٤)

إما في "ملحمة جلجامش" حين تعرض(كلكامش)الى العقاب من قبل الالهة نتيجة الاعمال العنف والفساد الذي حل بمدينته والظلم الذي مارسه ضد شعبة والعذاب في اعمال السخرة (كريمر، ص٤٦٣) وورد في النص:

"على ضربات الطبل تستيقظ رعيته،

لازم ابطال (اوروك) حجراتهم متذمرين شاكين:

لم يترك جلجامش ابنا لابنه

لم تنقطع مظالمة عن الناس ليل ونهار"(باقر، ملحمة كلكامش،ص٣٩)

ونقرأ عن مظالمة الأخرى:

"لقد أحل في المدينة العار والدنس

وفرض على المدينة المذكورة المنكرات واعمال السخرة"(باقر، ص٤٨**)**

إما في الاسطورة السومرية التي خلدت دمار بالبلاد وذلك بانتقام الاله(انانا) من البستاني الذي قام باغتصابها يدعى" شوكليتودا" وتروي الاسطورة قيام البستاني بزرع الاشجار ذوات الظلال الوارف وتدور من مطلع الشمس حتى غروبه(عبد الواحد، ١٩٧٣، ص٨٣-٨٤) واخذت(انانا) تريح جسمها المنهك من التعب في ظلال اشجار البستان، الا ان البستاني راقبها وانتهز الفرصة وقام بمضاجعتها (كريمر، ص١٥٨)، وجاء في الاسطورة:

"ذات يوم بعد ان عبرت ملكتي السماء وعبرت الارض،

(انانا) بعد ان عبرت السماء، وعبرت الارض،

بعد ان قطعت بلاد (عيلام) وبلاد (شوبر) ،

بعد ان عبرت .....،

اقتربت البغي المقدسة (انانا)الى البستان، من أثر وعناء السفر، وغطت في النوم

فراها (شوكليتودا) من حافه بستانه ،...

ضاجعها وقبلها وعاد الى حافة بستانه" (كريمر، ص٤٣٧).

وعندما استيقظت الإله(انانا) في صباح اليوم الثاني وعرفت ما فعله البستاني بها بالأمس

صممت على الانتقام لنفسها من البستاني وعملت على إنزال العقوبات به وببلده وأرسلت ثلاثة من العقوبات على بلاد سومر وأولها: جعلت آبارهم تمتلئ بالدماء بدل من الماء (عبد الواحد، ص٨٤):

"(انانا) من أجل عورتها ماذا صنعت!

لقد ملأت جميع آبار البلاد بالدم،

فامتلأت جميع الأحراش والبساتين في البلاد بالدماء

لقد صار العبيد حين يذهبون للاحتطاب لايشربون الا الدم،

والاماء إذا ما جئن للتزود بالماء لا يملأن (جرارهن) الا بالدم

لقد قالت: لأجدن من جامعني في جميع ارجاء البلاد" (كريمر، ص١٦١)

ان الاله(انانا) قامت بمطاردته (شوكليتودا) ولكنها لم تعثر عليه فذهب الى والدة لكي يسأله عن النصح حين علم بأن (انانا) تطارده فنصحه بالذهاب الى بلاد سومر وان يكون بالقرب من مركز المدينة (كريمر، ص٩٦) لأنها تكون مزدحمة بالناس ويصعب على(انانا) التعرف اليه (عبد الواحد، ص١٠٢)

وحين فشلت في التعرف الية ارسلت عقوبتها الثانية: وهي تسليط الرياح والعواصف المدمرة (كريمر، ص٩٦) ولكن من دون جدوى:

"لقد قالت ساجد الذي ضاجعني في انحاء البلاد

ولكنها لم تجد الذي ضاجعها"(السواح، ص١٩٨)

أمّا العقوبة الثالثة فلم تكن معروفة لأنها كانت ناقصة ومحطمة(كريمر،٢٠٠٤، ص٢٣٢)، واوضحت لنا الاسطورة معتقد ديني وهو عدم التقرب من الكاهنة لأنها تكون زوجة الاله من الناحية الدينية وحرمه القوانين اما النصوص فقد انذرت بالشؤم ومعاقبة كل من يقدم على مضاجعة كاهنة(عبد الواحد،ص٩١)، أمَّا الدمار الذي حل باهل الوركاء الذي جاء في" ملحمة كلكامش" على يد الإله (عشتار) فقد انعجبت به الإله عندما عاد (كلكامش) من غابات الارز منتصر وحاولت اغرائه لكي يكون عشيق لها(احمد، ١٩٨٨، ص٦٢) ونظر اليها(كلكامش) نظرة احتقار وذكرها بمصيرها السابقين، وشكت الى الاله(انو) لكي يثأر لها بخلق ثور سماوي ليدمر سكان مدينة الوركاء(هوك، ٢٠٠٩، ص٥٠) ويبين النص:

"**تزل الثور السماوي وهو ينشر الرعب والفزع**

وقضي في اول خوار له على مائه رجل ثم مائتين وثلثمائه

وقتل في خواره الثاني مائه ومائتين وثلثمائه

وبعد المجزرة الجماعية استطاع(كلكامش) ورفيقه (انكيدو) من القضاء على الثور السماوي واقتلعا قلبه وقدماه قرباناً (أمين،٢٠٠٥، ص٨) الى الإله (شمش) (حسن، ص١٥).

إنّ الانسان الرافديني القديم حاول إرضاء الآلهة وعدم ازعاجها لأنها هي المسؤولة عن الحياة التي كان يعيشها وعدم وقوعه في مصائب فقد تؤدي بحياته الى الموت مثلما فعلت بعض الالهة حين اغضبتها الاله أدت بها للموت وان العنف الأديني كان من الأسباب التي تنظم الحياة الدينة وكذلك السياسية لأنَّ القوانين مقدسة وصادرة منها وتعدّ واجب تطبيقها وفي حال عدم تنفيذها فان حياة الانسان معرضة الى الخطر والى إنهائه من الوجود.

الاستنتاجات

١_ إنَّ البيئة في بلاد الرافدين كانت ذات أثر كبير في حياة السكان لأنَّ بيئة بلاد الرافدين مضطربة تحمل في طياتها العنف والشدة، واطبعت العراقيين القدماء بمزاج خاص، فلذلك أصبحوا يرون كل عذاب يلحق بهم عقاباً ناتج عن خطيئة.

٢_ اعتقد العراقيون القدماء بوجود العقاب الذي تحاسب عليه الآلهة وتدعوها الى إنزال العقاب بمرتكبيها منها، الذي ترتكبها بقصد أو من دون قصد وتحاسب عليه الآلهة فالخطيئة التي تكون بقصد يكون العقاب أشد من تلك التي ترتكبها من دون قصد، اما الخطيئة بدون قصد فيكون عقابها جائراً، وتعددت العقوبات التي تفرضها الالهة على البشر بتعدد الخطايا المقترفة منها جماعية كالطوفان وتدمير المدن واخرى فردية مثل المرض والموت.

٣_ شبّه العراقيون الهتهم بالبشر في اغلب صفاتهم الروحية لذا فما يجري على الناس يجري على الالهة ايضاً وكذلك العقوبات التي تفرضها على الناس يماثلها مما يفرض على الالهة فالآلهة تمرض وتموت تكون نتيجة لعقوبة تفرض عليها من آلهة حين ارتكابها خطا ما.

المصادر والمراجع

_ احمد امين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الادنى القديم(حضارة العراق القديم)، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،٢٠١١.

_ اسامه عدنان يحيى، الالهة في رؤية الانسان العراقي القديم (دراسة في الاساطير)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧.

_ تقي الدباغ، الفكر الديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ،١٩٩٢.

_ تقي الدباغ، البيئة الطبيعية والانسان، حضارة العراق، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.

_ حمد خليفة حسن احمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الادنى وحضارته، دار فباء للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٩٨.

_ جورج بوبية شمار، المسؤولية الجزائية في الآداب الاشورية والبابلية، ترجمه سليم الصويص، شركة المطابع النموذجية، بغداد، ١٩٨١.

_جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد اشور، ترجمه سليم طه التكريتي وبرهان التكريتي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩.

_ جون اوتس، تاريخ بابل مصوره، ترجمة سمير عبد الرحيم الجبلي، دائرة الاثار والتراث، بغداد،١٩٩٠.

_ حسين علوان حسين، الصراع في ملحمه كلكامش، الدار العربية للطباعة والنشر، بابل، ٢٠٠٦.

_ رينية لابات، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين (مختارات من النصوص البابلية)، ترجمة الاب البيرا ووليد الجادر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامع،ب غداد،١٩٨٨.

_ سهيل قاشا، اثر المدونات البابلية في المدونات التوراتية، ط١، بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، بيروت،١٩٩٨.

_ سعد عمر محمد امين، القرابين والنذور في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

_ سمير الطائي، العنف السياسي في بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٠.

_ سعدون عبد الهادي برغش الامير، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم(٣٠٠٠ ـ ٥٣٩ ق.م) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠.

_ صموئيل هنري فرانكفورت، الاساطير في بلاد مابين النهرين، ترجمة يوسف داود عبد القادر، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد،٢٠٠٩.

_ صموئيل نوح كريمر،اساطير سومر واكد(اساطير العالم القديم)،ترجمة احمد عبد حميد يوسف، مراجعة عبد المنعم ابوبكر، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤.

_ طقوس الجنس المقدس عند السومريين(اينانا ودموزي)، ترجمة نهاد خياط، ط٤، دار علاء الدين للنشر، دمشق،٢٠٠٦.

_ السومريون (تاريخهم وحضارتهم وخصائهم)، ترجمة فيصل الوائلي، دار غريب،١٩٧٣.

_ الاساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، مطبعة المعارف، بغداد،١٩٧١.

_ طه باقر واخرون، تاريخ العراق القديم، ج٢، ط١، جامعة بغداد،١٩٨٠.

_ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط١، دار الرواق، لندن، ٢٠٠٩.

_ ديانة البابلين والاشوريين، مجلة سومر، العدد٢، مديرية الاثار القديمة العامة،بغداد ،١٩٦٤.

_ ملحمة جلجامش، ط٣، دار الحرية، بغداد،١٩٥٧.

_ طه الهاشمي، تاريخ الاديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٩٣ .

_ علي شحيلات، ياسر الحمداني، مختصر تاريخ العراق القديم(تاريخ العراق القديم)،ج٦، دار الكتب العلمية،لبنان،٢٠١٢.

_ فاضل عبد الواحد، ثم جاء الطوفان، مجلة سومر، مج٢٨، بغداد،١٩٧٢.

_ عشتار ومساة تموز، دار الحرية، بغداد،١٩٧٣.

_ سومر اسطورة وملحمه ، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠.

_ من الواح سومر الى التوراة، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٨٩.

_فراس السواح، مغامرة العقل الاولى(دراسة في الاسطورة سوريا، ارض الرافدين)، دمشق،١٩٨٨.

_ فون، ف. زودن، مدخل الى حضارات الشرق القديم، ترجمه فاروق اسماعيل، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.

_ قاسم الشواف، ديوان الاساطير(الموت والبعث والحياة الابدية)،ج٤ ، دار الساقي، لبنان،٢٠٠١.

_ قتيبة احمد سلمان، عقائد الخصب في حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط،٢٠١٠.

_ حكمت بشير مجيد الاسود، ادب الرثاء في بلاد الرافدين في ضوء المصادر المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل،٢٠٠٢.

_ ليو ديلابورت، بلاد مابين النهرين (الحضارة البابلية والاشورية)، ترجمة كمال محمد، مراجعة عبد المنعم ابو بكر،ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

_نائل حنون، حينما في العللا(قصة الخليقة البابلية)، ط١، دار الزمان، دمشق،٢٠٠٦.

_ ملحمه جلجامش، ط١، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق،٢٠٠٦.

_ نائل حنون، عقائد مابعد الموت في حضارة وادي الرافدين، دط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

_ محمد خليفة حسن، الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم " دراسة في ملحمة جلجامش، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٨.

_هنري فرانكفورت، ماقبل الفلسفة، ترجمة، جبر ابراهيم جبراً، مراجعة محمد الامين،ط١، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠.

_ وليم ريان، والتر بتمان، طوفان نوح، ترجمة فارس بطرس، مراجعة الاب يوسف توما، مطبعه النهار الجديد، بغداد،٢٠٠٥.

_ ولاء مهدي محمد حسين، الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين واثرة في العهد القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد،١٩٩١.

_ وداد جاسم الجوراني، الرحلة الى الفردوس والجحيم في اساطير العراق القديم، ط١، بغداد،١٩٨٨.

_Takayoshi oshima, the Babonian God Markduk,in(the Babylonian Word),Edited by: Gwendolyn,leick usa, 2007,p.352.